

أهل الطب و كازانوفا

بقلم : سعد رضوان

تناقشت السيدتان ، ثم أخرجت الجدة منديلها المعقود وحلت ربطته وأ [illegible] قطعة نقد، أعطتها للمرأة الأخرى [illegible] ابتسمت ، واتجهت الى صندوق كبير فى وسط الحجرة، وفتحته ثم التفتت الى الصغير.. ومدت يدها الخشنة تلمس كتف الولد، وسألته :

ما أسمك

فأجاب : جيوفانى .

– اسم حلو.. وما عمرك ؟

– ثمانى سنوات وأربعة أشهر .

– جميل.. اسمع يا جيوفانى . أنت تريد أن يقف نزف أنفك ..

– نزف ؟!

– قصدى أن يتوقف نزول الدم من منخارك .

– اه ..

– أخبرنى كيف حصل هذا ؟

– لا أعرف [illegible] واقفا مرتكزا على حائط حجرتنا، وأحسست أن أنفى يسيح فانحنيت .. ورأيت دما ينزل إلى الأرض وجريت إلى جدتى ..

– وجدتك أحضرتك عندى لأعالجك .

– صح .

– اسمع ، حتى أعالجك يجب أن أخرج العفريت الذى دخل إلى أنفك وسكن فيها ..

– عفريت ؟!

– لا تخف .. سأخرجه ولكن بشرط ألا تخبر أحدا بأن جدتك أحضرتك عندى، حتى لا يغضب العفريت ويرجع يدخل أنفك ، ويجرحها بطرف أصبعه عندما يعطش حتى يشرب من دمك .

- يشرب دمي؟! أنا مستعد أسقيه الماء .. أحمله له من البئر .

- لا .. لا .. العفاريت لا تشرب الماء العفاريت تشرب الدماء .

وظهر الخوف والحيرة على الولد، فاستمرت المرأة :لا تخف .. سأخرجه.. أنت شجاع طبعا !!

- طبعا ..

- عظيم سأدخلك فى هذا الصندوق، وتتمدد فيه وأغلقه عليك.. المهم ألا تخف إذا سمعت أى أصوات . إذ خفت فلن يخرج العفريت ، أما إذا رأى العفريت أنك لا تهتم بحركاته، بصراخه، ببكائه، بخبطه ، بغنائه، وبغير ذلك من الأفعال الشريرة التى سيقوم بها، حتى يجعلك تخاف.. إذا وجد أنك لا تخاف ولا تهتم به، بل وتخرج لسانك لكل ما يفعله فإنه هو الذى سيخاف منك ويخرج من جسمك الى الصندوق ، وسأقوم أنا بضربه بهذه المكنسة المسحورة عند خروجه من حائط الصندوق، وأحشره بين الخشب والكسوة الحديد، وسينال منى علقة لم يحلم بها أبدا ولن يتجرأ مرة ثانية أن يقترب منك أو يدخل جسمك .

- ويحكى جيوفانى :

وزهوت بنفسى ، وتخيلت منظر العفريت وهو يضرب العلقة فينحشر بين خشب الصندوق وحديده، فقفزت داخله بجرأة وتمددت وأغلقت السيدة سقفه وسمعتها تطلب من جدتى الخروج والبقاء فى الخارج حتى لا ترهب العفاريت.. ولم أهتم بالظلام، ولا بالأصوات التى أخذت أسمعها وأنا محبوس :

ضحك ، بكاء، غناء، صراخ ، طرقات، خبط .

وأخيرا فتحت السيدة الصندوق ورفعت غطاءه وأخرجتنى منه، وقد توقف النزيف، وأرقدتنى فى فراشها وخلعت عنى ثيابى وأشعلت أعشابا وفردت قطعة قماش أمام الدخان الصاعد من احتراق الأعشاب، فلما امتلأت بالدخان وسخنت ، لفتنى بها وهى تتلو تعاويذ وصلوات، ثم ملأت كفها بزيت ، لم تضايقنى رائحته وأخذت تدلك صدغى وقفاى .. وأعطتنى قطعا من الحلوى وقالت لى :

إن النزيف توقف الآن، وإنه سينتهى تماما بالتدريج طبعا بشرط ألا أخبر أحدا بما فعلته معى، وإلا فإن الجنى الذى ساعد على إخراج العفريت من أنفى سيغضب ويشرب من جسمى كل دمى وأموت .. ثم همست فى أذنى بأن سيدة جميلة ستزورنى فى الليل وتسعدنى، ويجب ألا يعرف أحد بزيارتها لى وإلا .. وفعلا استيقظت فى الليل لأرى سيدة جميلة تهبط من مدخنة المدفأة وتفرغ أشياء كثيرة من جيوبها فوق رأسى ، وتتكلم كلاما لم أفهم منه شيئا ..و

★★★

- لسنا هنا في مجال الحديث عن السحر والعلاج بالسحر كما قد يخيل للقاريء، ففي هذا المجال يمكن الرجوع إلي كتاب العلم والسحر الذي ألفه الدكتور عبد الرحمن نور الدين ، ونشرته دار

الهلال سنة ١٩٩٠ ، وإلي مقالات الدكتور عبد الرحمن الكثيرة العديدة في هذا الموضوع والمنشورة في مجلة طبيبك الخاص، والتي منها علي سبيل المثال مقال : «لمحات سحرية» عدد اكتوبر ١٩٩٠ «عفريت من الجن» «عدد يونيو» ١٩٩١ ، «سقوط الشيطان» عدد مارس ١٩٩٧ . وغيرها.

★★★

– ونعود إلى حكايتنا ، إنها البداية أو بعض ما جاء فى الفصل الأول من كتاب مذكرات أشهر العشاق جيوفانى جياكومو كازانوفا .

كازانوفا الذى تحتفل فرنسا وايطاليا عام ١٩٩٨م بمرور مائتى عام على وفاته فقد ولد فى ٢ أبريل ١٧٢٥م ، ومات سنة ١٧٩٨ م.

تحتفل إيطاليا بالكاتب لأنه إيطالى الجنسية وولد فى فينسيا ، وسجن بها وهرب من سجنه إلى باريس وعاش بها ثمانية عشر عاما، كتب فيها أعماله الأدبية: أشعارا، موضوعات فى اللاهوت وغيرها ، ثم أهم وأشهر أعماله ، وهى مذكراته.. ولما كانت كل هذه الكتابات باللغة الفرنسية فإن فرنسا قررت الاحتفال بذكراه كأحد أبنائها فنظمت احتفالات بالذكرى ، وأصدرت هيئة البريد الفرنسية طابعا عليه صورة كازانوفا..

وبداية فهو ابن لممثلة وأحد الراقصين، تركته أمه عند أمها تربيه فاعتنت جدته بتعليمه حتى إنه حصل على دكتوراه فى القانون، وهو فى سن السابعة عشر!.. ودرس اللاهوت «علوم الدين» وعمل واعظا وخاض مغامرات غرامية كثيرة مع البنات والسيدات ممارسا الدجل والسحر والخديعة والدهاء .. و..

وعاش كثير التنقل عابدا للجمال.

وعلم يوما بمرض جدته فعاد إلى فينسيا .. وماتت جدته ...

وفوضت أمه أحد القسس فى بيع بيت أمها «جدته» فباع الرجل الدار إلى شخص اسمه رازيتا ، واكتشف المشترى غياب بعض التحف من الدار، كان كازانوفا قد رهنها فى إحدى أزماته المالية، ورفع المشترى الأمر إلى القضاء، ولكن القضية حفظت، فحقد الرجل عليه، ودخل كازانوفا الدير، حيث تصادق مع طالب فى الخامسة عشر من عمره، ووجد من به ينامون فى أسرة مصفوفة على مسافات متقاربة وبجانب كل سرير منضدة صغيرة ومقعد، وسرير صديقه الطالب فى مواجهة سريره.

اكتشفوا يوما أن الصديقين ينامان عاريين فى سرير كازانوفا وطرد من

الدير، رغم أنه - كما يقول - لم يرتكب فعلا فاضحاً !

وعاد إلى فينسيا حيث قبض عليه بدون تهمة وسجن بقلعة المدينة. وحدث ذلك بتدبيرمن مشترى منزل جدته.. وفى يوم ادعى أنه تزحلق وكسر كعبه فجبره له الطبيب، وفى الليل خرج من القلعة بطريقة دبرها، وقابل خصمه وهو عائد إلى داره ليلا فضربه بعصا وألقى به فى القناة وصرخ الخصم فخرج أحدهم من بيته وتعرف على كازانوفا .

ورجع كازانوفا الى سجنه بالقلعة كما خرج دون أن يشعر به أحد ..

واشتكاه الخصم، وقامت لجنة بالتحقيق ولم تصدق ادعاء المضروب ولا شاهده، فكل من بالقلعة شهد على كسر كعب كازانوفا وجندى الحراسة أقسم أنه بات فى حجرته بالسجن، وحكم ببراءته وتحمل خصمه والشاهد مصاريف الدعوى مع حفظ حق كازانوفا فى التعويض.. وأفرج عنه طبعا ..

وبسبب علاقاته الغرامية اكتسب اعداء اوقعوه فى فك محاكم التفتيش فاتهم بممارسة السحر، وفتش مسكنه، ووجد عنده خمسة كتب في السحر وقبض عليه سنة ١٧٥٥م . وفى سنة ١٧٥٦م استطاع الهرب الى باريس، وعاش بها ١٨ عاما كاتبا ومؤلفا ومغامرا وتنقل بين روما وبرلين ووارسو ومدريد، وحكى مغامراته فى كل بلد.

فى سنة ١٧٧٤م عاد الى فينسيا فقبض عليه ثانية وخلص نفسه بأن عمل جاسوسا للبوليس فى خدمة ديوان التفتيش ولكن ضميره لم يسمح له بالاستمرار فى هذا العمل فسافر إلى فيينا ثم إلى باريس .

وفى باريس قابل الكونت الامير فالتشتاين الذى أعجب به، وعينه أمينا لمكتبة قلعته المسماة قلعة دوكس، والموجودة فى بوهيميا «جمهورية سلافيا الآن» .

وفى هذا العمل وجد كازانوفا الفراغ ليكتب مذكراته التى حكى فيها عن حياته وعن مغامراته الغرامية مع ١٤٣ بنتا وامرأة . هذا رغم أنه لم يكن جميلا ولا وسيما فهو مجرد شاب عادى .. أما المذكرات فكتبها بالفرنسية فى ٤٥٤٥ صفحة فقط .

